نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٩٤ — وأنت في مصر

في (مسالك الأبصار) : قال عبد الله بن الربيعي : دخلت أنا وأبو النصر البصري (بيعة[1] ما سرجس) وقد ركبنا مع المعتصم نتصيد . فوقفت أنظر إلى جارية كنت أهواها ، وجعل هو ينظر إلى صورة في البيعة استحسنها حتى طال ذلك ، ثم قال أبو النصر :

فتنتنا صورةٌ في بيعـــة ! فتن اللهُ الذي صورهـــا !
زادها الناقشُ في تحسينها فضلَ حسن أنه نضّرها
وجهها (لا شك عندي) فتنة وكذا هيَ عند من أبصرها
أنا للقس عليها حاســـد ليت غيري عبثاً كسّرها !

قال الربيعي : فقلت له : شتان ما بيننا ، أنا أهوى بشراً ، وأنت تهوى صورة .

قال لي : هذا عبث ، وأنت في جد .

(١) البيعة — بالكسر — متعبد النصارى ج بيع كنب .

٦٩٥ — وصاحبها عند الكمال يموت

حكي أن إنسانا رفع قصة إلى الصاحب كمال الدين بن العديم فأعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها : أهذا خطك ؟

قال : لا ، ولكني حضرت إلى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه كتبها لي . فقال : عليّ به . فلما حضر وجده مملوكه الذي يحمل مداسه وكان عنده في حال غير مرضية . فقال له الصاحب : أهذا خطك ؟ قال : نعم . قال : فهذه طريقتي فمن الذي أوقفك عليها ؟

قال : يا مولانا كنت إذا وقعت لأحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة . فأمره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب :

حال المذود) والصواب الزّور لا المذود ، والزور : الضيوف جمع زائر ، مثل ركب وصحب جمع راكب وصاحب .

وجاء في الصفحة نفسها : «فأعاد المسألة فأمكنه من أذن من لايسمع إلا مايشتهي» ، وقال الشارحان : « فأمكنه إلى آخره ، أمكنه من الشيء كمكنه بتشديد الكاف منه ، وفاعل أمكنه يعود إلى المكي ، وضمير المفعول إلى المسألة بمعنى الطلب ليطابق المرجع . وأقول إن هذا التفسير يفسد عبارة الجاحظ ، وهي من أجمل العبارات . والصواب أن صاحب البيت هو الذي أمكن المكي من أذن صماء كما تقول : أعارني أذنا صماء . وجمال العبارة هو في التمكين الموهم بلوغ المقصود ، ثم اتباع هذا التمكين ببيان أن الباب الذي انفتح لا يؤدي إليه ، وإنما يؤدي إلى نقيضه .

وجاء في صفحة ١٠٣ : «وصديق كنا قد ابتلينا بمؤاكلته ، وقد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل على الطعام ، وهجس ذلك في نفسه ، وتوهم أنا قد تذاكرنا أمره ؛ فكان يتزيّد في تكثير الطعام ، وفي إظهار الحرص على أن يؤكل حتى قال : من رفع يده قبل القوم غرمناه دينارا . فترى بغضه إن غرّم دينارا . وظاهرُ لأمته ، محتمل في رضا قلبه وما يرجو من نفع ذلك له » . وقال الشارحان بعد أن فسرا هذا الكلام على هذا الضبط : (ولا يخفى ما في هذه العبارة من إيجاز وغموض ، وأقول : إن سوء الرسم هو الذي أدى إلى تفسيرهما المعقد ، وصواب العبارة أن تضبط هكذا « فترى بغضه أن غرم دينارا ، وظاهرَ لأمته ، محتملين في رضا قلبه إلى آخره) وإذن يكون معنى العبارة أنك أيها القارىء ترى أن بغضه للكرم الدلول عليه بتغريمه الدينار ، والدينار أكبر قيمة من كل طعامه ، ثم إكراهه نفسه على الظهور بمظهر من يلوم على عدم الأكل ، هاتين الخصلتين المتناقضتين قد وسمهما قلبه فاحتملهما لما يرجوه من الظفر في النتيجة .

(يتبع)

وما تنفع الآداب والحلم والحجا وصاحبها عند (الكمال) يموت

فكان إعجاب الصاحب بالشعر أكثر من الخط لأن فيه تورية لطيفة، ورفع منزلته حينئذ.

٦٩٦ — قد أبلغناه محبته

في (شرح النهج) لابن أبي الحديد: قيل لأبي مسلم الخراساني إن في بعض الكتب المنزلة: (من قتل بالسيف فبالسيف يقتل) فقال: القتل أحب إلي من اختلاف الأطباء، والنظر في الماء، ومقاساة الدواء والداء. فذكر ذلك للمنصور بعد قتل أبي مسلم، فقال: قد أبلغناه محبته ...

قال المنصور للمهدي: ما أيدت بمن أيد به من كان قبلي، أيد معاوية بزياد، وأيد عبد الملك بالحجاج. فقال المهدي: قد أيدت بمن فوقهما. فقال تعني أبا مسلم؟ قال: نعم. قال: قد كان كذلك لكنه خيرنا بين أن نقتله أو يقتلنا فاخترنا قتله ...

٦٩٧ — وعليه زيتهم

في (تاريخ بغداد):

قال أبو بكر بن شاذان: سألت أبا الطيب محمد بن الحسين اللخمي أن يملي علي شيئا فأبى، ثم سألته فأجاب، فقلت له: أعطني ورقة. فقال لي: والورق من عندي؟! اكتب، وأنشدني هذه الأبيات:

رب، ما أقبح عندي عاشقا مستهاما يتفقا متمنا!
قلت من ذاك؟ أنا؟ فاستضحكت ثم قالت: من تراه؟ فأنا؟
قلت: زوريني فقالت: عجبا أنا والله إذن قاري مني
إذ يصلي وعليه زيتهم أنت تهواني وآتيك أنا؟!

٦٩٨ — ان اهتمامك بالمعروف معروف

قال عبد الأعلى بن حماد النرسي، قدمت على المتوكل بسر من رأى، فدخلت عليه يوما فقال لي: يا أبا يحيى، قد كنا هممنا لك بأمر، فتدافعت الأيام به، فقلت: يا أمير المؤمنين، سمعت مسلم ابن خالد المكي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: من لم يشكر النعمة لم يشكر المنعم، وأنشدته:

لأشكرنك معروفا هممت به إن اهتمامك بالمعروف معروف[1]

ولا ألومك إن لم يمضه قدر فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

فجذب الدواة فكتبهما، ثم قال: ينجز لأبي يحيى ما كنا عممنا له به، وهو كذا، ويضعف لخبره هذا.

٦٩٩ — لا يعقل

أبو سعيد الكرماني:

عزلت وما خنت فيما وليت وغيري يخون فلا يعزل
فهذا يدل على أن من يولى ويعزل لا يعقل

٧٠٠ - أهذا أيضا مما أعده؟

في (الكشاف): عن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) أنه شكر عبد الملك حين زوجه ابنته، وأحسن إليه فقال: وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن. فقال ابن عبد الملك: إنما هو كلام أعده لهذا المقام، فسكت عبد الملك. فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر، فسأله عن نفقته وأحواله فقال: الحسنة بين السيئتين. فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، وكان بين ذلك قواما[1]» فقال لابنه: يا بني، أهذا أيضا مما أعده؟ ...

٧٠١ — متى تغرب الشمس

قال أحمد بن طاهر: كنت في مجلس بعض أصدقائي يوما، وكان معي علي بن عبيدة الريحاني[2] في المجلس، وفي المجلس جارية كان يحبها، فجاء وقت الظهر فقمنا إلى الصلاة وعلي والجارية في الحديث. فأطال حتى كادت الصلاة تفوت فقلت له: يا أبا الحسن، قم إلى الصلاة، فأومأ بيده إلى الجارية وقال: (حتى تغرب الشمس) فجعلت أتعجب من حسن جوابه، وسرعته وكفايته.

---

(١) شكرت له وشكرته وأشكر الأصمعي شكرته وقال بابه الشعر (الصباح) شكرته وشكرت له وباللام أفصح، وشكرت نعمة الله (اللسان)

٢٩ . ٢٦

(١) القوام: العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما، ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء. وقرىء قواما (بالكسر) وهو ما يقام به الشيء (الكشاف)، وفي اعراب القرآن للعكبري: (وكان بين ذلك) أي وكان الانفاق و(قواما) الخبر، ويجوز أن يكون (بين) الخبر و(قواما) حالا.

(٢) هنيات: جمع هنية، في (النهاية): أنه أقام هنية أي قليلا من الزمان ويقال هنيهة أيضا في (الصباح): مكثت هنيهة أي ساعة لطيفة.